ألفاظ اللغات غير العربية في القرآن الكريم من منظور الدراسات اللغوية الحديثة

Non-Arabic Vocabulary in the Glorious Qur'an From the Perspective of Modern Linguistic Studies

Perbendaharaan Kata bukan Arab di dalam al-Quran al-Karim dari Perspektif Pengajian Linguistik Moden

عبد الله محمد آدم خير* محمد الطاهر الميساوي** زكريا عمر***

مستخلص البحث

يتّفق علماء اللغة أن اللّغات يتأثّر بعضها ببعض، فتأخذ كلّ لغة ما تحتاج إليه من ألفاظ غيرها من اللّغات الأخرى، كما تمدّ تلك اللّغات بحاجتها من المفردات والألفاظ. ومثل غيرهم من الأمم الأخرى كان للعرب تجربتهم الخاصة في مجال التبادل اللغوي بسبب مخالطتهم الأمم الأخرى بالمجاورة، فضلاً عن رحلاتهم التجارية المستمرّة صيفاً وشتاءً إلى مناطق بعيدة عن الجزيرة العربية. وقد أدى ذلك إلى دخول ألفاظ لغات أخرى إلى العربية اصطلحت عليها بالدخيلة والمعرّبة. وقد تباينت آراء العلماء بشأن وقوع هذه الألفاظ الدخيلة والمعربة في القرآن الكريم، وهو ما تحاول هذة الدراسة النظر في باتباع منهج وصفي تحليلي لمواقف العلماء المسلمين ومفسري القرآن القدامى في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة.

* أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: kheir@iium.edu.my

** أستاذ مشارك بقسم الفقه وأصوله، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: mmesawi@iium.edu.my أو mmesawi@yahoo.com

*** أستاذ مساعد بمركز اللغات، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، البريد الإلكتروني: zakariao@iium.edu.my

الكلمات الأساسية: اللغة العربية، التبادل اللغوي، الألفاظ الدّخيلة والمعرّبة، علماء العربية، المفسرون، الدّراسات اللّغوية الحديثة.

Abstract

Language scholars agree that there is mutual influence among languages, thus each language borrowing what it needs from other languages and supplying them with what they need in terms of words and vocabulary. Like other nations, the Arabs had specific experience in linguistic exchange through their intercourse with other nations both by virtue of neighbourhood and due to their regular winter and summer trade journeys to regions far away from the Arabian peninsula. This resulted in the reception by the Arabic language of vocabulary and words from other languages, conventionally known as loanwords and Arabized vocabulary. This fact notwithstanding, scholars have differed on the occurrence of such borrowed and Arabized words in the Qur'an. The present article addresses this issue through applying a descriptive and analytical method in examining the different opinions held by classical Islamic scholars and Qur'an commentators in light of modern linguistic studies.

Key words: Arabic language, linguistic exchange, loanwords, Arabized vocabulary, Arabic language scholars, Qur'an commentators, modern linguistic studies.

Abstrak

Ulama bahasa bersetuju bahawa terdapat pengaruh bersama antara bahasa, dengan itu setiap pinjaman bahasa apa yang diperlukan daripada bahasa-bahasa lain dan membekalkan mereka dengan yang mereka perlukan dari segi kata-kata dan perbendaharaan kata. Seperti negara-negara lain, orang-orang Arab mempunyai pengalaman khusus dalam pertukaran bahasa melalui hubungan mereka dengan negara-negara lain kedua-dua menurut kejiranan dan kerana musim sejuk dan musim panas perjalanan perdagangan biasa mereka ke kawasan-kawasan yang jauh dari Semenanjung Arab. Ini menyebabkan penerimaan oleh bahasa Arab perbendaharaan kata dan kata-kata dari bahasa lain, konvensional dikenali sebagai kata pinjaman dan perbendaharaan kata yang diArabkan. Fakta ini walau apa pun, ulama telah berbeza apabila berlaku apa-apa perkataan yang dipinjam dan Berber Arab dalam Al-Quran. Artikel ini menangani isu ini melalui menggunakan kaedah deskriptif dan analisis dalam memeriksa pendapat yang berbeza dari yang dipegang oleh ulama klasik dan pengulas al-Quran berdasarkan kajian linguistik moden.

Kata kunci: Bahasa Arab, pertukaran bahasa, kata pinjaman, perbendaharaan kata yang diArabkan, ulama bahasa Arab, pengulas al-Quran, kajian linguistik moden.

تمهيد

يذهب علماء اللغة إلى أن لغة أي أمة معرَّضة لأن تردَ إليها ألفاظ من لغات أخرى، خاصة لغات الأمم المجاورة والمتاخمة لها، وكذلك الحال بالنسبة للغات الأمم التي تتبادل معها تلك الأمة المنافع المختلفة في مجالات الحياة المادية والمعنوية من التجارة والزراعة والصناعة إلى الفن والأدب والدين والفلسفة. وقد تأثر العرب – كغيرهم – بلغات الأمم الأخرى أخذًا وعطاءً بسبب الاتصال والاحتكاك بتلك الأمم، خاصة في رحلاتهم التجارية صيفًا وشتاءً. وهذا ما يؤكد أن التبادل أو الاقتراض اللغوي كان منتشرًا بين العرب وغيرهم من الشعوب، فأخذت العرب ما تحتاج إليه من ألفاظ اللغات الأخرى كما أخذت هذه اللغات ما تحتاح إليه من الألفاظ العربية[1]. ويشير علماء اللغة إلى أن عظمة لغة ما ووفرة ألفاظها تدلّ على أن أهل هذه اللغة كانوا يخالطون شعوب اللغات الأخرى؛ لذلك لا يرى هؤلاء العلماء بقاء لغة ما مغلقة أبدًا بحيث لا تقرض اللغات الأخرى ولا تقترض منها.

والكلمات التي دخلت في اللغة العربية على هذا النحو هي التي سميت بالألفاظ الدخيلة والمعربة. فاللفظ الدخيل هو اللفظ الأعجمي الذي أدخل في كلام العرب من غير أن يشتق منه لمخالفته الأوزان العربية، فيسخدمه العرب بشكله وقالبه الذي دخل به في العربية. أما اللفظ المعَرَّب فهو اللفظ الذي عومل معاملة اللفظ العربي من حيث الوزن، والاشتقاق، مثل أي لفظ عربي آخر.[2]

ولما كانت لهجةُ قريش خلاصةَ لهجات القبائل العربية خلال تطورها ونضجها عبر القرون، فقد كان ذلك لا محالة سببًا لاكتسابها رصيداً كبيراً من ألفاظ لغات الشعوب

---

[1] الكردي، سعد محمد، "اللغات الأخرى في القرآن الكريم وموقف الطبري منها"، **الشبكة العنكبوتية العالمية:** http://www.reefnet.gov.sy/booksproject/turath/76/3other.pdf نظر في يوم 6/10/ 2008م.

[2] ألتونجي، محمد، **المُعَرَّب والدخيل في اللغة العربية وآدابها** (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م)، ص13-14.

الأخرى زاد في ثروتها اللغوية. وبما أن القرآن الكريم قد نزل في الغالب على لهجة قريش أو لغتها، فالسؤال الذي يثور هو: هل تضمنت آياته شيئًا من الألفاظ الدخيلة والمعربة التي وردت إلى العربية من اللغات الأخرى؟ إن الجواب على هذا السؤال ظل محلّ أخذ وردّ بين العلماء قديمًا وحديثًا، وهو ما سنستعرضه فيما يأتي ساعين إلى بيان الراجح من الآراء.

مواقف العلماء من الألفاظ الدخيلة في القرآن الكريم

لم يتفق الجمهور من أهل العلم على رأي واحد في شأن وجود ألفاظ اللغات الأخرى غير العربية في القرآن الكريم، وإنما كانت لهم مواقف وآراء مختلفة: فمنهم من أنكر ورود ألفظ غير عربية في القرآن ورده جملة وتفصيلاً، ومنهم من نصر ورودها وربما أسرف فيه، ومنهم من توسط واعتدل ساعيًا إلى التوفيق بين ذينك الموقفين. وقد نسب أبو عبيد القاسم بن سلام – كما ذكر الزركشي – القولَ بوقوع ألفاظ أعجمية في القرآن إلى الفقهاء والمنعَ منه إلى أهل العربية[1].

أما الفريق الأول، وهم الأكثرون أو الجمهور كما وصفهم الزركشي والسيوطي (الذي خص هذه المسألة برسالة فضلاً عن تعرضه لها في عدد من مصنفاته)، فذهبوا إلى أنه ليس في القرآن شيء بغير لغة العرب، ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى والإمام الشافعي، وابن جرير الطبري، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وابن فارس، مستندين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ (يوسف: 2)، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ (فصلت: 44)[2]. قال أبو عبيدة: "نزل

---

[1] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مكتبة دار التراث، 1984/1404)، ج1، ص290.

[2] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص287؛ السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب"، تحقيق عبد الله الجبوري، **مجلة المورد**، المجلد الأول، العددان 1-2، 1971/1391، ص101؛ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي حمد البجاوي

القرآن بلسان عربي مبين، فمَن زعم أن فيه غيرَ العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن طه بالنبطية فقد أَكْبَرَ... وقد يوافق اللفظُ اللفظَ ويقاربه، ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها. فمن ذلك الإستبرق بالعربية، وهو الغليظ من الديباج، وهو بالفارسية إستبره"[1]. وانتصر ابن فارس لقول أبي عبيدة بأنه لو كان في القرآن "من غير لغة العرب شيءٌ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه"[2]. ذلك أنه لما أن الله تعالى جعل القرآن "معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ودلالة قاطعة لصدقه، وليتحدى العربَ العرباء به، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته، فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة"[3].

أما الإمام الشّافعي فرد على مَنْ قال بوقوع ألفاظ أعجمية أو غير عربية في القرآن بأن القرآن نفسه "يدل على أنْ ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب"، وأن هذا القول إذا قُبل من قائله فعلى معنى أن "في القرآن خاصا يجهل بعضَه بعضُ العرب"، وأن من غفل عن هذا المعنى إنما حصل ذلك منه بسبب التقليد[4]. وفضلاً عن الاستشهاد

(بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1986)، ج1، ص266؛ **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 2008/1429)، ص288.

[1] التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، تحقيق محمد فؤاد سزكين (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988)، ج1، ص17-18. وانظر كذلك: الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب غريب الحديث**، تحقيق حسين محمد محمد شرف (القاهرة: مجمع اللغة اللغة العربية، 1994/1415)، ج5، ص269؛ السيوطي، **الإتقان**، ص288؛ "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب"، ص101.

[2] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي في فقه اللغة العربية مزهر في علوم اللغة وومسائلها وسنن العرب في كلامها أنواعها**، تحقيق أحمد حسن بسج (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997/1418)، ص63.

[3] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص287.

[4] الشافعي، الإمام المطلبي محمد بن إدريس، **الرسالة**، تحقيق أحمد شاكر (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، تصوير عن طبعة دار التراث بالقاهرة)، ص42.

بالعديد من الآيات على عدم اشتمال القرآن على ألفاظ من غير لغة العرب، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء: 192-195)، وقوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (الرعد: 37)، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل: 103)، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الشورى: 7)[1]، يقرر الشافعي قاعدة عامة عن اللغة العربية يندرج فيها الموضوع قيد النظر وتتفرع عنها حيث يقول: "ولسان العرب أوسع الألسنةذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه"[2]. بل يرى الشافعي أن ما عُدَّ أعجميا مما تكلمت به العرب وجرى على لسانها من الألفاظ يحتمل أن يكون أصله عربيا، أمرٌ غيرُ منكر لاحتمال "أن يوافق لسانُ العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب، كما ياتفق (أي يتفق) القليلُ من ألسنة العجم المتباينة في أكثر كلامها، مع تنائي ديارها واختلاف لسانها، وبعد الأواصر بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها"[3].

وعلى ذلك جرى الإمام الطبري حيث قرر "أن كل رسول لله جل ثناؤه أرسله إلى قوم فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه، وكل كتاب أنزله على نبي ورسالة أرسلها إلى أمة، فإنما أنزله بلسان من أرسله إليه، وكل كتاب أنزله على نبي ورسالة أرسلها إلى أمة فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله إليه. واتضح بما قلنا ووصفنا أن كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ، بلسان ﷺ، وإذ كان لسان محمد ﷺ عربيا، فَبَيِّنٌ أن القرآن عربي. وبذلك نطق محكم تنزيل

[1] المصدر نفسه، ص46- 48.

[2] المصدر نفسه، ص42.

[3] المصدر نفسه، ص44- 45.

ربنا، فقال جل ذكره: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: 12)"[1]. أما الألفاظ الواردة في القرآن مما نُسب إلى لغات غير العربية كالحبشية والفارسية والنبطية والرومية، فلا يرى الطبري أنها من قبيل ما وقع إلى العرب فعربته، كما لا يرى جدوى من نسبتها إلى لغة معينة بوصفها هي الأصل لتلك الألفاظ، بل هي مما اتفقت فيه الألسن المختلفة "باللفظ والمعنى"، وليست نسبته إلى لسان معين بأولى من نسبته إلى غيره[2]. وفي ضوء ذلك يؤوِّل أبو جعفر كلام من قال: "في القرآن من كل لسان" بأن معناه "أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظُ العرب ولفظُ غيرها من الأمم التي تنطق به"[3].

وعلى المنوال نفسه نسج الإمام الباقلاني الذي وصف القول بوجود ألفاظ غير عربية في القرآن بأنه "خلاف على جميع سلف الأمة"، وأنه "شذوذ" من قائليه وخلاف للإجماع "غير معتد به"؛ إذ قد ثبت خلافُه بآي القرآن "التي أخبرنا الله فيها أنه أنزله بلسان عربي مبين"، وهو "أوضح دليل على فساد قولهم"[4]. وزيادة على ما استدل به أبو عبيدة والشافعي وغيرهما من الآيات لإثبات عربية القرآن ونفي اشتماله على شيء من غير لغة العرب، يرى الباقلاني أن ما احتج به أصحاب هذا الرأي من وجود ألفاظ في القرآن غير معروفة في لسان العرب قول مردود. وتعليل ذلك عنده أنه "لا يجب نفي كون الكلمة من لغتهم لأجل عدم العلم بما اشتقت منه، ولا بأنها خارجة عن أن تكون على وزن شيء من كلامهم، بل يمكن أن تكون الكلمة أو الكلمات خارجة عن الكلمات التي هي على بعض أوزان كلامهم، وأن تكون العرب لم تضع جميع ألفاظها على أبنية وأوزان متشاكلة

---

[1] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن**، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي (القاهرة: هجر، ط1، 2001/1422)، ج1، ص11-12.

[2] المصدر نفسه، ص15-16.

[3] المصدر نفسه، ص17.

[4] الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، **التقريب والإرشاد** (الصغير)، تحقيق عبد الحميد بن علي أبو زنيد (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1998/1418)، ج1، ص401.

ومتناسبة"[1]. وبعبارة أخرى، إن عدم جريان بعض الكلمات في العربية على نسق الأوزان الصرفية المطردة والقواعد الاشتقاقية المعروفة لا يخرجها عن كونها عربية.

أما الفريق الثاني الذين قالوا بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن فقد ذهبوا إلى ذلك استنادًا إلى ما رُويَ عن عدد من علماء الصحابة والتابعين منهم ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ﷺ من أن القرآن اشتمل على "أحرف كثيرة من غير لسان العرب، مثل سجيل، والمشكاة، واليمّ، والطور، وأباريق، وإستبرق وغير ذلك"[2]، ومنها الربانيون والربيون والصراط والقسطاس والفردوس، قيل بعضها بالفارسية وبعضها بالسريانية[3].

ومن أشهر مَنْ نصر هذا الرأي الجواليقي (465-539هـ) الذي أفرد مصنفًا خاصا لاستقصاء المعرب والدخيل في لغة العرب، وكذلك فعل الإمام السيوطي في رسالته المعنونة "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" وفي كتاب "الإتقان في علوم القرآن" وكتاب "المزهر في علوم اللغة". فالجواليقي، كما يظهر من مقدمة كتابه وما جرى عليه في سائر فصوله، لا يبدو أن وقوع المعرب والدخيل في لغة العرب وأشعارها وفي القرآن الكريم كان محلَّ شك أو تردد لديه على الرغم من ذكره ما حصل فيه من اختلاف مذاهب العلماء، بل على العكس يبدو أنه أمر مسلم. فقد افتتح الكتاب بقوله: "هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول ﷺ والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليُعرف الدخيل من الصريح. ففي معرفة ذلك فائدة جليلة، وهي أن يحترس المشتقُّ فلا

---

[1] المصدر نفسه، ص404.

[2] الهروي، **غريب الحديث**، ج5، ص269-270. وانظر كذلك: الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخَضِر، **المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق ف. عبد الرحيم (دمشق: دار القلم، ط1، 1990/1410)، ص92؛ الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج1، ص13-14.

[3] الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، **كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1994/1415)، ص13.

يجعل شيئًا من لغة العرب لشيء من لغة العجم"[1]. أما سائر أبواب الكتاب فاستقصى فيها الألفاظَ الأعجمية التي دخلت إلى لسان العرب مُرجعًا إياها إلى أصولها من اللغات الفارسية والعبرية والسريانية وغيرها، ومرتبًا لها وفق حروف المعجم، وقد مهد لذلك ببيان "مذاهب العرب في استعمال الأعجمي"، حيث قرر أنهم "كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً، وربما أبدلوا ما بعُد مخرجه أيضا"[2].

أما السيوطي فقال: "وأقوى ما رأيتُه للوقوع – وهو اختياري – ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل، قال: في القرآن من كل لسان". ثم ذهب في تفسير ذلك إلى أنه "إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب"[3].

وفي تفسير وجود المعرب والدخيل في لسان العرب يقرر العلامة محمد المبارك أنه "ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات وتأثير بعضها في بعض"، فكما يلتقي أصحاب اللغات ضروباً من الالتقاء "في الحرب والسلم، وبالتجاور والاتصال أو الاحتلال والحكم، وفي ميدان العلم والثقافة والعلم، أو في ميدان الاقتصاد والتجارة" إلى غير ذلك من أنواع الاتصال، فيحصل بذلك تأثر بعضهم ببعض "بوجه عام أو في ميادين محدودة"، كذلك يكون تأثير اللغات بعضها في بعض، حيث "يختلف هذا التأثير قوة وضعفًا وفي كونه مزدوجَ الوجه بأن تتأثر كل لغة بالأخرى، أو منفردًا واقعًا من إحدى لغتين على الأخرى، كل ذلك يختلف باختلاف العوامل المؤثرة والحالات الواقعة"[4].

---

[1] الجواليقي، **المعرَّب**، ص91.

[2] المصدر نفسه، ص94.

[3] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص289.

[4] المبارك، محمد، **فقه اللغة وخصائص العربية** (بيروت: دار الفكر، 1964)، ص292.

وإلى قريب من هذا التفسير ذهب بعض الكتاب إلى أن بيئة العرب من طبيعتها أن تحوج أهلها وساكنيها إلى الاختلاط بالأمم الأخرى والاقتباس منها في سبل معاشهم وطرق تلبية حاجات حياتهم. فالقرآن صور على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام بيئة العرب باعتبارها بيئة جدباء قاحلة لا سبيل للعيش فيها إلا أن يتواصل أهلها مع الشعوب الأخرى ويختلطوا بها من أجل تبادل المنافع بالتجارة وغيرها مما شأنه أن يؤدّي إلى التبادل اللغوي خاصة والتبادل الثقافي عامة. وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ (إبرهيم: 37). فقد سأل إبراهيم عليه السلام الله عز وجل أن يجعل قلوب الناس من مختلف الأقطار تسرع إلى ذريته فيمدونهم بما يحتاجون إليه الثمرات، وقد استجاب الله دعاءه، فصارت أنواع مختلفة من البضائع تجلب إلى مكة من أماكن وأمم مختلفة. وتعتبر البضائع من أهمّ عوامل انتقال الألفاظ من لغة إلى أخرى، ذلك لأن هذه البضائع ترد إلى الأسواق بأسمائها المعروضة في بلاد إنتاجها، فتندمج في لغة أهل بلاد الأسواق المجلوبة تلك السلع إليها، أي لغة قريش، وبمرور الزمن أصبحت هذه الأسماء جزءاً من لغتهم[1].

ويرى ألتونجي أن أسواق قريش كانت محطّات لقوافل التجار التي تحمل البضائع من أنحاء المعمورة، وخاصّةً إلى أسواقها الموسمية في عكاظ، ومجنة، فهي إلى جانب أنها أسواق للبيع والشراء فهي أيضاً منتديات أدبية. فعندما تعرض البضائع فإنها تباع وتشترى – كما سبق– بلهجات بلادها التي تختلط بلغة مرتادي هذه المنتديات الأدبية. وبذلك تجمعت المفردات المعرّبة في لهجة قريش، وعُوملت معاملة اللفظ العربي من حيث الوزن والاشتقاق، ولذلك لم يكن أحد من قريش يتساءل أو يستغرب لوجود تلك الألفاظ في لغتهم، حيث

[1] الهلالي، تقي الدين، "ما وقع في القرآن بغير لغة العرب"، من إصدارات موقع فضيلة الشيخ العلامة محمد تقي الدين الهلالي: *www.alhilali.net*، النسخة الأولى، تاريخ الإصدار 1429/02/10، ص2.

صارت مألوفة متداولة بينهم[1]. ويقرر علي عبد الواحد وافي أنه قد تبين "لكثير من المحققين أن معظم الكلمات العربية الدّالة على مظاهر الحياة الحضرية وما إليها من الأمور التي لم تكن مألوفة في بيئة العربية الأولى، ومعظم الكلمات المتعلقة بمنتجات الصناعة وشئون الفكر الفلسفي المتصل بما وراء الطبيعة" قد انتقلت إليها من اللغات الأخرى خاصة من أخواتها السامية كالسريانية، والفارسية، والعبرية، والنبطية، والحبشية وغيرها[2].

ويتبين مما تقدم أن ما ذهب إليه الفريق الثاني من القول بحركة المفردات والألفاظ بين لغات الأمم أخذاً وعطاءً يتفق إلى حدّ كبير مع آراء علماء الدارسات اللغوية الحديثة الذين يقولون إنّ اللغات ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، بل هي كائن حي يتطور على ألسنة المتكلمين بها، وينشأ من هذا التطور اختلاف من عصر لآخر، كما يؤدي اختلاط المتكلمين بلغة معينة بأهل لغات أخرى إلى ورود ألفاظ دخيلة إليها. وفي هذا السياق يرى عبد التواب أنّ اللغة لا تفسد بالألفاظ الدخيلة، بل إن حياتها في هضم الدخيل؛ لأن مقدرة اللغة على استيعاب الألفاظ الدخيلة تعدّ مزية وخصيصة، لا سيما إذا صاغتها على أوزانها ووفق قوالبها[3]. ويؤكد الكردي أن الألفاظ الدخيلة في أي لغة لها آثار إيجابية في اللغة الآخذة إذا أضافت إليها أسماء ودلالات غير موجودة فيها أصلاً؛ لأنها تغنيها بهذه الدلالات الجديدة وتزيد من قدرتها وكفايتها للتعبير عن الأغراض المختلفة. وهذا الاتجاه لعلماء علم اللغة الحديث يعزز موقف الفريق الذي يذهب إلى وجود الدخيل في القرآن الكريم، فالدراسات اللغوية الحديثة تؤّكد أن وجود الدخيل في اللغات ظاهرة إنسانية طبيعية تبرز عند التقاء الأمم واختلاط الشعوب، وهذا بدوره يؤدي إلى اختلاط اللغات، وتبادل الألفاظ. وهؤلاء يرون التبادل اللغوي حقيقة

---

[1] ألتونجي، مرجع سابق، ص 13-16.

[2] وافي، علي عبد الواحد، **فقه اللغة** (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2004)، ص101-104.

[3] عبد التواب، رمضان، **التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه** (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1995م)، ص14-15.

علمية لا يمكن إغفالها[1]. وبما أن القرآن قد جاء باللغة العربية، فمن الطبيعي أن يرد فيه بعض ما تضمنته هذه اللغة من الدخيل.

ويمكن تفسير موقف الفريق الأول المانع من وقوع ألفاظ غير عربية في القرآن بكون الدراسات اللغوية كانت في بداياتها ولم تكن قد تطورت وتوسعت بعدُ بما يسمح بالمقارنة والمقابلة مع اللغات الأخرى، وإن كان بعض القائلين به معاصرين لبعض أولئك المانعين بل متقدمين عليهم. وهذا التعليل ينطبق على العربية كما ينطبق على غيرها من اللغات، ذلك أن البحث في اللغات من حيث "أصولها وفصائلها والصلات بينها واقتراض بعضها من بعض" كان غالبًا – إن لم يكن دائمًا – "يتم بالحدس والتخمين لافتقاره إلى الوثائق التاريخية والوسائل المتقدمة الميسرة لمثل هذا الغرض العلمي"[2].

وتسوقنا هذه الملاحظة إلى موقف الفريق الثالث، الجامع بين القولين معًا. ويأتي في مقدمة هؤلاء الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة 224هـ)[3]. وقد جاء تقريره لمذهبه في سياق شرحه لكلمة "سَرَقة" من خبر عبد الله بن عمر أن رجلاً قال له: "إن عندنا بيعًا له بالنقد سعر، وبالتأخير سعر، فقال: ما هو؟ فقال: سَرَق الحرير، فقال: إنكم معشر أهل العراق تسمون أسماء منكرة، فهلا قلتَ: شُقق الحرير، ثم قال: إذا اشتريت فكان لك، فبعه كيف شئت". قال أبو عبيد: "وأحسب أصل هذه الكلمة فارسية، إنما سرهْ، يعني الجيد، فعُرِّب فقيل: سَرَقً، فجُعلت القاف مكان الهاء، ومثله في كلامهم كثير"[4]. وبعد أن سرد عدة ألفاظ مبينًا أصولها غير العربية، حكى أبو عبيد افتراق العلماء بين المنع والإثبات في وقوع الدخيل في القرآن وسرد طرفًا مما استدل به كل

---

[1] الكردي، مرجع سابق.

[2] بوبو، مسعود، **أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج** (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1982)، ص7.

[3] اختلف في تاريخ ميلاده، فقيل ولد بهراة سنة 150، وقيل سنة 154، وقيل 157.

[4] الهروي، **كتاب غريب الحديث**، ج5، ص268ـ269.

فريق، ثم عقب عليه بقوله: "ولكنهم (يقصد ابن عباس ومن وافقه) ذهبوا إلى مذهب، وذهب هذا إلى غيره (مشيراً إلى أبي عبيدة)، وكلاهما مصيب إن شاء الله؛ وذلك أن أصل هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها فعربته، فصار عربيا بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحال، عجمية الأصل. فهذا القول يصدق الفريقين جميعًا"[1].

وقريب من هذا التكييف أو التصوير للمسألة ما ذهب إليه المفسر الأندلسي ابن عطية منطلقًا من القاعدة نفسها التي استند إليها المانعون من "أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر". ولكن هذا لا يعني عنده عدمَ وقوع ألفاظ من أصل غير عربي فيه، بل العكس هو الصحيح. وتفسير ذلك كما يقول ابن عطية أنه "قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعضُ مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش، وكسفر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس إلى الشام، وسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاصي وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة. فعقلت العرب بهذا كله ألفاظًا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح، ووقع بها البيان. وعلى هذا الحد نزل بها القرآن، فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر إلى غير ذلك". وبناءً على ذلك يؤكد أن "حقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب وعربتها، فهي عربية بهذا الوجه". أما قول الطبري بأن اللغتين اتفقتا في لفظة فهو أمر بعيد في نظر ابن عطية، بل إحدى اللغتين "أصل والأخرى فرع في الأكثر"[2].

---

[1] المصدر نفسه، ص269ـ270.

[2] ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2001/1422)، ج1، ص51.

وقفات مع الطبري والجواليقي في تفسيرهما لظاهرة "الدخيل"

إن اختيارنا الوقوف مع كل من الطبري والجواليقي في النظر إلى ظاهرة "الدخيل" في العربية عامة وفي القرآن خاصة يعود إلى أمرين إثنين: أولهما أن الطبري هو شيخ المفسرين كما جرى تلقيبه بذلك، وقد أنكر بوضوح وجود ألفاظ غير عربية في القرآن بناء على رؤية عامة في العلاقة بين اللغات. أما الأمر الثاني فهو أن الجواليقي هو أول عالم لغوي صنف كتابًا جامعًا في المعرب والدخيل رتبه على حروف المعجم وناقش فيه الموضوع بناءً على قاعدة الاشتقاق في لسان العرب، منطلقًا في ذلك مما سبق أن نبه أبو بكر السراج إلى ضرورة الحذر والاحتراس منه حيث قال: "مما ينبغي أن يحذر منه كل الحذر أن يُشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت"[1]. وبعبارة أخرى، إن القاعدة في تمييز المعرب والدخيل عن الأصل هو عدم جريانه على قواعد الاشتقاق في اللغة العربية.

ولنبدأ بالإمام الطبري الذي منع بقوة —كما رأينا – أن تكون في القرآن ألفاظ غير عربية، وذلك بناءً على ما يبدو أنه يمثل عنده قاعدة عامة حاكمة، ألا وهي أن "الواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهرُ لظاهر كلامها ملائمًا، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان"[2]. أما ما جاء في الأخبار من وقوع ألفاظ في القرآن وصفت بأنها أعجمية غير عربية، مثل "كفل" و"ناشئة" و"أوبي" و"قسورة" التي قيل إنها حبشية، وغيرها مما قيل إنه فارسي أو نبطي أو رومي أو غير ذلك مما استند إليه مَنْ قال بأن "في القرآن من كل لسان"، فالحق فيه ليس ما فُهم من ظاهر هذه العبارة. وإنما الصواب فيه – عند الطبري – أن في القرآن "من كل لسان اتفق فيه لفظُ العرب ولفظُ غيرها من الأمم التي تنطق به... وذلك أنه غير جائز أن يُتوهم

---

[1] الجواليقي، **المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، ص91.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج1، ص12.

على ذي فطرة صحيحة، مقر بكتاب الله، ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله، أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي، وبعضه نبطي لا عربي، وبعضه رومي لا عربي، وبعضه حبشي لا عربي". وفضلاً عن ذلك، فإن الذين ذهبوا هذا المذهب "لم يقولوا: هذه الأحرف وما شابهها لم تكن للعرب كلامًا، ولا كان ذلك لها منطقًا قبل نزول القرآن، ولا كانت العرب بها عارفة قبل مجيء الفرقان، فيكون ذلك قولاً لقولنا خلافًا". ومن ثم فسبيل "كل كلمة واسم اتفقت ألفاظُ أجناس أمم فيها وفي معناها، ووُجد ذلك مستعمَلاً في كل جنس منها استعمالَ سائر منطقهم" إنما هو سبيل ما "اتفقت ألسنُ الفرس والعرب فيها بالألفاظ الواحدة والمعنى الواحد"، وهو أنه تصح "إضافته إلى كل جنس من تلك الأجناس"، ويكون الصواب فيه أن "يسمى عربيا أعجميا، أو حبشيا عربيا؛ إذ كانت الأمتان له مستعملتين في منطقها وبيانها استعمال سائر منطقها وبيانها، فليس غير ذلك من كلام كل أمة منهما بأولى أن يكون إليها منسوبًا منه". بل يذهب الطبري إلى أكثر من ذلك حيث يقرر أن مَنْ ينسب تلك الألفاظ "إلى إحدى الأمتين أو كلتيهما محق غير مبطل"[1].

ومعنى هذا أنّ كلّ ما في القرآن عربي أصلاً، عربي في اللفظ والمعنى والاستعمال، فليس فيه فارسي معرَّب، أو رومي معرّب، أو حبشي معرّب، أو رومي معرب. ولم يقف الطبري عند هذا المستوى النظري من إنكار غير العربي في القرآن، بل ذهب عزز رأيه عمليا في تفسيره كلما عرض للفظ من الألفاظ التي عدها غيرُه دخيلة على لسان العرب، كما سنرى في الأمثلة الآتية.

1. "الطور": وردت هذه الكلمة في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 63)، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ﴾ (البقرة: 93)، وقوله جل ثناؤه: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ

[1] المصدر نفسه، ص13-19.

مَّسْطُورٍ ﴾ (الطور: 1-2)، وقوله عز وجل: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ (التين: 1-2).

ذكر الإمام القرطبي اختلافَ العلماء في تفسير معنى هذه اللفظة، فمنهم من قال: الطور اسم للجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة دون غيره، وروي عن ابن جريج عن ابن عباس وروي عن الضحاك عنه أن الطور هو ما أنبتَ من الجبال، وقال مجاهد، وقتادة: أي جبل كان. إلا أنّ مجاهداً قال: هو اسم لكلّ جبل "بالسريانية".[1] وذكر الإمام الماوردي أن فيها ثلاثة أقاويل: منها أنّها اسم لكلّ جبل، وهو قول مجاهد وقتادة، إلا أن مجاهدًا قال هو اسم جبل "بالسريانية"[2]. وساق السيوطي في بيان معنى لفظ "الطور" قولين، أحدهما ما أخرجه الفريابي عن مجاهد قال: "الطور الجبل بالسريانية، والآخر ما أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه بالنبطية[3].

أما الطبري فقال: "وأما الطور فإنه الجبل في كلام العرب، ومنه قول العجاج:

دَانَى جَنَاحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرْ تَقَضِّيَ الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرْ

وقيل إنه اسم جبل بعينه، وذُكر أنه الجبل الذي ناجى الله عليه موسى. وقيل إنه من الجبال ما أنبت دون ما لم يُنبت"[4]. وبعد أن سرد جملة من الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، ومنها قول بعضهم بأنه جبل موسى عليه السلام ومسجده، وأن معنى "سنين"

---

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2006/1427)، ج2، ص164.

[2] الماوردي، أبو الحسن، **النكت والعيون، تفسير الماوردي**، راجعه وعلّق عليه السيد بن عبد المقصود (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م)، ج1، ص20.

[3] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص295؛ "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب"، ص115.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج2، ص48. والقول بأن الطور هو الجبل في كلام العرب هو أيضًا قول أبي عبيدة. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في التفسير**، تحقيق زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1984/1404)، ج1، ص93.

حسن، من لغة الحبشة الذين "يقولون للشبء الحسن: سينا سينا"، ومنها قول آخرين أن معنى "طور سينين" الجبل ذو الشجر أو الجبل المبارك، وأنه جبل مبارك في الشام، كما روي عن بعض التابعين، خلص الطبري إلى أن "أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَن قال: طور سنين: جبل معروف؛ لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سنين تعريف له، ولو كان نعتًا للطور، كما قال مَن قال: حسن، أو مبارك، لكان الطور منونًا، وذلك أنّ الشيء لا يضاف إلى نعته لغير علّة تدعو إلى ذلك"[1].

2. كلمة "هيت" في قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف: 23): ذهب معظم المفسرين إلى غير ما ذهب إليه الطبري في بيان معنى هذه اللفظة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكر الماوردي في بيان دلالتها قولين بناء على الاختلاف في القراءة: الأول أن معناها "تهيأت لك" وإليه ذهب عكرمة وأبو عبد الرحمن السلمي، والثاني أنها بمعنى "هلم" وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة. أما عن أصلها فقال ابن عباس إنها كلمة قبطية بمعنى "هلم لك" وورد عن الحسن البصري أنها سريانية، بينما ذهب مجاهد إلى أنها عربية وأن هذا هو معناها[2]. أما القرطبي فبعد أن سرد الاختلافَ في وجوه قراءتها واشتقاقها وما يترتب على ذلك من اختلاف في دلالتها[3]، ذكر أنها سريانية في قول لابن عباس والحسن، وأنها قبطية في قول للسدي، وأنها "لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز" بمعنى تعال، وهو ما ذهب إليه الكسائي وأبو عبيد القاسم بن سلام[4].

وذكر الفخر الرازي في أصل "هيت لك" أنها بالعبرانية بمعنى تعال، وأنها مما عرَّبه

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج24، ص504-508.

[2] الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب، **النكت والعيون**، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية، دون تاريخ)، ج3، ص22-23.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**)، ج11، ص305-309.

[4] المصدر نفسه، ص309.

القرآن، وهو ما حُكي عن أبي زيد الأنصاري. وأضاف الرازي أن الفراء قال إنها لغة لأهل حَوْران وقعت إلى أهل مكة فتكلموا بها، وأن ابن الأنباري ذهب إلى أن "هذا وفاق بين قريش وأهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في "القسطاس"، ولغة العرب والفرس في "السجيل"، ولغة العرب والترك في "الغسّاق"، ولغة العرب والحبشة في "ناشئة الليل"[1]. ومن المفسرين المتأخرين نجد الشوكاني بعد أن يقرر أن "معنى 'هيت' على جميع القرءات معنى هلم وتعال؛ لأنها من أسماء الأفعال إلا في قراءة من قرأ بكسر الهاء بعدها همزة وتاء مضمومة فإنها بمعنى تهيأت لك"، يذكر في شأن أصلها ما سبق من القول بكونها سريانية أو لغة لأهل حوارن[2].

وهكذا يظهر في ضوء ما تقدَّم ما يمكن أن نعتبره وجهة عامة لدى المفسرين في عد لفظة "هيت" غير عربية الأصل. أما الطبري فعلى الرغم من موافقته إياهم في بعض معاني "هيت لك"، إلا أنه يخالفهم في نسبتها إلى لغات أخرى غير العربية حيث قال: "وقوله: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، اختلفت القَرَأَةُ في ذلك؛ فقرأته عامة قَرَأَةُ الكوفة والبصرة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتاء، بمعنى: هلُمَّ‌ك، وادن وتفربْ، كما قال الشاعر لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه:

أَبـلِغْ أَمـيرَ الْمُؤمنـينَ أَخَـا الْـعـَراق إِذَا أَتَيـنْا
إِنَّ الْــعِــرَاقَ وَأَهْـلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

يعني: تعال واقرب. وبنحو الذي قلنا في ذلك تأوله من قرأه كذلك"[3].

بل إن الطبري يستشهد لعربية لفظ "هيت" ببيت أنشده بعض الرواة لطرفة بن

---

[1] الرازي، الفخر، **تفسير الرازي** المشتهر بـ**التفسير الكبير** و**مفاتيح الغيب** (بيروت: دار الفكر، ط1، 1981/1401)، ج18، ص116.

[2] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، تحقيق يوسف الغوش (بيروت: دار المعرفة، ط4، 2007/1428)، ص690.

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج13، ص70.

العبد يقول فيه:

لَيْسَ قَوْمِي بِالأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتُ[1]

وبعد أن سرد الأقوال في وجوه قراءتها وتفسيرها وما قيل في أصلها من كونها عربية قبطية أو سريانية أو حَورانية[2]، خلص الطبري إلى القول: "وأولى القراءات في ذلك قراءة من قرأه: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتاء وتسكين الياء؛ لأنها الغة المعروفة في العرب دون غيرها، وأنها فيما ذكر قرأة رسول الله ﷺ"[3].

3. كلمة "الرقيم" في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ (الكهف: 9)، هذا مثال آخر من الألفاظ التي تبرز الخلاف بين القائلين باحتواء القرآن على ألفاظ غير عربية والمنكرين لذلك. فقد ذكر في تفسير هذه الكلمة "الرقيم" سبعة أقوال منها أنها الدواة بالرومية، قاله أبو صالح، وقيل القوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل حال أهل الكهف[4]. وذكر ابن الجوزي في معنى "الرقيم" أقوالاً خمسة، رابعها أنها "الدواة بلسان الروم، قاله عكرمة ومجاهد في رواية"[5]. وتأكيدًا لعربية هذه اللفظة قال الطبري: "وإنما الرقيم: فعيل، أصله: مرقوم، ثم صُرف إلى فعيل، كما قيل للمجروح :جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم، لأنه الخطّ الذي يعرف به ثمنه ، ومن ذلك قيل للحيَّة: أرقم، لما فيه من الآثار ، والعرب تقول: عليك بالرقمة، ودع الضفة: بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء، ودع الضفة الجانبة. والضفتان: جانبا الوادي. وأحسب أن الذي قال الرقيم:

---

[1] المصدر نفسه، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص72-76.

[3] المصدر نفسه، ص76.

[4] الماوردي، **النكت والعيون**، ج3، ص286-287.

[5] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج5، ص108.

الوادي، ذهب به إلى هذا، أعني به إلى رقمة الوادي"[1].

4. ونكتفي بمثال أخير هو كلمة "مشكاة" في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ (النور: 35). ذكر الماوردي في تفسير هذه اللفظة خمسة أقوال، خامسها "أن المشكاة صدر المؤمن والمصباح القرآن الذي في قلبه، قاله أُبي، قال الكلبي: والمشكاة لفظ حبشي معرب"[2]. وساق ابن الجوزي في معناها ثلاثة أقوال، آخرها أن المشكاة – كما قال الفراء وغيره – "الكوة التي ليست بنافذة"، أما أصل هذه اللفظة فنقل عن ابن قتيبة "أنها الكوة بلسان الحبشة"، بخلاف الزجاج الذي قال "هي من كلام العرب"[3]. وعلى هذا النمط سار الفخر الرازي في ذكر هذين القولين في أصال لفظة "مشكاة"[4]، وكذلك نقل البغوي القول بحبشيتها[5].

أما الطبري فعلى الرغم من استقصائه الأقوال في معاني لفظة "مشكاة" المعجمية واللغوية ودلالاتها وتأويلاتها في سياق استعمالها في الآية، إلا أنه لم يلتفت إلى الكلام عن أصلها وما إذا كانت عربية أصيلة أو دخيلة، وما ذلك فيما يبدو إلا دلالة على تسليمه بأصلها العربي بناء على القاعدة العامة الكلية التي بنى عليها رأيه في هذا الشأن.

ولننتقل الآن إلى الجواليقي الذي سبقت الإشارة إليه والذي يعد من أشهر علماء اللغة الذين ذهبوا إلى وقوع ألفاظ غير عربية في القرآن، وهو أول من صنف في ذلك – كما ذكرنا من قبل – كتاباً جامعًا عمل فيه على ذكر "ما تلكمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول ﷺ والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج15، ص161.

[2] الماوردي، **النكت والعيون**، ج23، ص236.

[3] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج6، ص40-41.

[4] الرازي، **تفسير الرازي**، ج18، ص116.

[5] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش (الرياض: دار طيبة، 1411)، ج6، ص46.

أجمعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح"[1]. وقد بيّن الجواليقي طرقًا لمعرفة الدخيل في العربية ومنها معرفة المعرب بائتلاف الحروف، حيث ذكر ما يأتي:

أ. أنه لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية، فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها معرَّبة.

ب. أنه لا تجتمع الجيم والصاد في كلمة عربية مثل "الصولجان".

جـ. أنه ليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء، فإذا وجد مثل ذلك علم أنه معرب مثل "نرجس" و"نورج" و"نِرسيان".

د. أنه ليس في كلام العرب زاي بعد دال إلا دخيل مثل "مهندز"، حيث أبدل العرب الزاي سينا.

هـ. أنه لا يخلو الرباعي والخماسي من الحروف الذَّلاقية الستة (الراء، والنون، واللام، والفاء، والباء، والميم)[2].

وفضلاً عن معيار ائتلاف الحروف وقواعد الاشتقاق للتمييز بين الدخيل والصريح في العربية، اهتم الجواليقي ببيان مذاهب العرب وأساليبها في استعمال الألفاظ الأعجمية، ومن ذلك ما يأتي:

أ. إبدال بعض الحروف في تلك الألفاظ إلى أقربها مخرجًا في لسانهم، إذ "الإبدال لازم لئلاَّ يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم".

ب. تغيير البناء في اللفظ الأعجمي إلى أبنية العرب، وقد يكون هذا التغيير "بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن". لكن ليس الإبدال أمرًا مطردًا في تعامل العرب مع الألفاظ الأعجمية كما ينبه الجواليقي؛ إذ "ربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه"[3].

ومن أمثلة إبدال الحروف عند العرب تغيير "ما كان بين الجيم والكاف" الذي ربما

---

[1] الجواليقي، **المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، ص91.

[2] المصدر نفسه، ص100-101.

[3] المصدر نفسه، ص92.

جعلوه جيمًا أو كافًا، "وربما جعلوه قافًا لقرب الكاف من القاف"، حيث "قالوا: كُرْبَج، وبعضهم يقول: قُربَق". ومن أمثلته إبدال الحرف الذي بين الباء والفاء فجعلوه باء، كقولهم: فالُوذ وفِرِند، وقول بعضهم: بِرند. ومنها إبدال السين من الشين، كقولهم "للصحراء: دست وهي بالفارسية دشت"، وكقولهم "سراويل وإسماعيل، وأصلهما شروال وأشماويل، وذلك لقرب السين من الشين في الهمس". ومنه كذلك إبدال الزاي لامًا، كما فعلوا مع لفظة "قفشليل" التي أصلها "كفجلاز" ومعناها المغرفة، وقد اجتمع في هذه اللفظة، كما بين الجواليقي، ضروب أخرى من الإبدال حيث "جُعلت الكاف منها قافًا، والجيم شينًا، والفتحة كسرة، والألف ياء"[1].

أما الإلحاق بأبنية العربية فمن أمثلته إلحاق درهم بِهِجرَع، وبهرج بسَلهب، ودينار بديماس، "وإسحاق بإهام، ويعقوب بيَربوع، وجرب بكوكب، وشبارق بعُذافر، وزرداق بقرطاس". وأما الزيادة والنقصان في الحروف فقد مثل لهما الجواليقي بألفاظ "إبْرَيْسم، وإسرافيل، وفيروز، وقهرمان وأصله قِرمان"، كما قال[2].

ومن الألفاظ التي تركوها على حالها ولم يغيروها "خراسان وخُرَّم وكُركُم". ومن صور تعامل العرب مع الألفاظ الأعجمية خلط بعضها ببعض، كما نقل الجواليقي عن أبي عمر الجرمي مستشهدًا لذلك بشعر لبعض الشعراء جاء فيه:

يقولون لي "شَنْبِذْ" ولست مشنبذًا طَوالَ الليالي أو يزول ثَبيرُ

فكلمة "شَنْبِذْ" مكونة من لفظين هما: "شون بوذي"، وأصلهما في الفارسية، كما ذكر محقق كتاب المعرَّب، "جون بودي؟"، وهي صيغة سؤال معناها: "كيف كنت؟"[3]. ويتبين مما سبق عرضه باختصار الأساس النظري والمنهجي الذي استند إليه الجواليقي في التعامل مع ظاهرة الدخيل والمعرب وإحصاء ألفاظه مرتبًا إياها على حروف المعجم، كما

---

[1] المصدر نفسه، ص94-96.

[2] المصدر نفسه، ص97. تجدر الإشارة هنا إلى أن محقق الكتاب خطَّأ الجواليقي في اعتباره أن الكلمات الأربع الأخيرة دخل على حروفها زيادة أو نقصان. (انظر الهامش رقم 4 في الصفحة نفسها).

[3] المصدر نفسه، ص98. (وانظر الهامش رقم 1).

سلف أن ذكرنا.

ودون أن نستقصي كل ما أودعه الجواليقي في كتابه من الألفاظ ذات الأصل غير العربي، تجدر الإشارة إلى تنوع المصادر التي اعتمد عليها في ذلك، فهي تشمل كتب التفسير، والشعر، وكتب علماء اللغة كسيبويه وابن دريد وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأبي حاتم الرازي وابن قتيبة وأبي علي الفارسي وكتب الأديان كالتوراة والإنجيل[1]. ويهمنا أن نعرض هنا لرأي صاحب كتاب "المعرب" بشأن أسماء الأنبياء حيث قرر أنها "كلها أعجمية نحو إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإلياس وإدريس وأسرائيل وأيوب، إلا أربةَ أسماء هي: آدم وصالح وشعيب ومحمد"[2]، أي أن هذه الأربعة عربية صريحة. ويذكر الجواليقي أنه قد اختلف أهل العربية في قراءة تلك الأسماء الأعجمية، كما هو الشأن مثلاً في اسم إبراهيم الذي "تكلمت به العرب على وجوه، فقالوا: إبراهيم وهو المشهور، وإبراهام وقد قرئ به، وإبراهِم على حذف الياء، وإبْرَهَم"، كما جاء في شعر منسوب لعبد المطلب[3] جد النبي ﷺ. وكذلك نطق العرب اسم إسماعيل على أكثر من وجه، فقالوا إسماعيل وإسماعين، كما في الشطر الثاني من قول الراجز: "هذا وربِّ البيتِ إسماعينا"[4].

وقد تتبع الجواليقي – كما سبقت الإشارة — ما دار على ألسنة العرب وجرى في محاوراتهم وأشعارهم قبل الإسلام وبعده وما ورد في القرآن وفي حديث النبي ﷺ وأصحابه ومن جاء بعدهم من ألفاظ أعجمية، مستندًا إلى أقوال علماء اللغة وغيرهم، وقد قام محقق كتاب "المعرب" بتوثيق كثير من تلك الألفاظ ومقابلتها بأصولها في اللغات التي نسبت إليها كالفارسية والحبشية والسريانية واللاتينية والهندية وغيرها، مؤيِّدًا في غالب الأحيان وناقضًا في بعض الأحيان.

---

[1] انظر على سبيل المثال: المصدر نفسه، ص104-149.

[2] المصدر نفسه، ص102.

[3] المصدر نفسه، ص104.

[4] المصدر نفسه، ص105.

أصل الألفاظ في علم اللغة الحديث

لقد استفاد علماء اللغة المحدثون من تصنيف اللغات إلى مجموعات أو أسرات لغوية (Language families) لمعرفة أصل اللفظ الدخيل في أي لغة. وقد تم ذلك التصنيف حسب ما بين اللغات من قرابة، ومن أهمّ تلك المجموعات أسرة اللغات الهندية الأوروبية ، وأسرة اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة العربية إلى جانب تصنيفات أخرى. وهذا التصنيف يقوم على أساس أوجه التشابه في النواحي الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية. وقد ساعدت الدراسات اللغوية المقارنة على تصنيف اللغات إلى أسرات بناءً على تلك الاعتبارات. فكلما زادت أوجه الشبه بين لغتين أو أكثر عدّت تلك اللغات من أسرة واحدة؛ لأنها تشترك في صفات أكثر من الصفات التي تشترك فيها مع لغات أخرى.[1] ويؤّكد هؤلاء العلماء أنّ المستويات اللغوية تخضع للتطور، وفي كلّ مرحلة زمنية يحدث تغيّر في صوت من أصوات لغة من اللغات يجعلها تختلف عن اللغة الأم التي انحدرت منها، وكذلك في باقي المستويات، وذلك بسبب تطور المجتمعات الذي بدوره يقود إلى التداخل بين مجتمعات الأمم المختلفة؛ لأن المدنية تستلزم مخالطة الأمم الأخرى وتبادل المنافع معها. وهذه المخالطة تتيح الفرصة لانتقال الألفاظ من لغة إلى أخرى كما سبق ذكره. ويرى علماء اللغة المحدثون أن الدخيل من الألفاظ من أهمّ السبل إلى تنمية الثروة اللغوية لأي لغة؛ لأنه يضيف إلى اللغة ألفاظًا لم تكن معروفة لأهلها؛ ولذلك يعتبرون الاقتراض اللغوي أحد القوانين الاجتماعية الإنسانية ظلّ يلازم اللغات في العالم

---

[1] انظر لمزيد من التفاصيل: حجازي، محمود فهمي، **مدخل علم اللغة** (القاهرة: دار قباء، 1997)، ص19-20؛ حجازي، محمود فهمي، **أسس علم اللغة العربية** (القاهرة: دار الثقافة، 2003)، ص34-42؛ الصالح، صبحي، **دراسات في فقة اللغة** (بيروت: دار العلم للملايين، 2009)، ص41-45؛ وافي، علي عبد الواحد، **علم اللغة** (القاهرة: نهضة مصر، ط9، 2004)، ص195-196؛ ظاظا، حسن، **اللسان والإنسان: مدخل إلى معرفة اللغة** (دمشق: دار القلم/بيروت: الدار الشامية، ط2، 1990/1410)، ص143-192.

قديماً وحديثاً. ويقوم الاقتراض على تبادل التأثير والتأثر بين اللّغات.[1]

ويقرر بعض العلماء أن منهج علم اللغة الحديث يساعد كثيراً على معرفة ما إذا كانت كلمة مشتركة بين لغتين أو أكثر من لغات الأسرة السامية أصيلة موروثة من السامية الأم أو دخيلة من إحدى اللغتين إلى الأخرى. ويشمل ذلك جملة من الطرائق، منها النظر في البنية أو القوانين الصوتية لمعرفة مدى التقابل الصوتي، ثم النظر لمعرفة انحدارها إن كان من أصل اشتقاقي واحد، وبعد ذلك يبحث في مدى الاتفاق أو الاختلاف الدلالي. فإذا احتفظت الكلمة بسمات اللغتين ينظر في أيهما ظهرت أولاً، وذلك بالاستعانة بمناهج علم االلغة الحديث كالمنهج الوصفي الذي يصف اللغة في فترة معينة، والمنهج التاريخي الذي يتابع تطور اللغة وتغيراتها خلال التاريخ، والمنهج المقارن الذي يدرس ظواهر التقابل بين اللغات داخل العائلة اللغوية الواحدة. فضلاً عما سبق فهؤلاء العلماء لهم معرفة كبيرة بكثير من اللّغات ممّا ساعدهم على تتبع الألفاظ؛ لمعرفة أصل الكلمة سواء كانت مشتركة أو مقترضة بدقّة كبيرة. أما في شأن تتبع السلسة الاشتقاقية للفظ، فقد سهّلت المعاجم الخاصة بمعظم اللغات لهؤلاء العلماء الصعوبات التي يواجهونها في تتبع تطور وتغيرات الألفاظ وصولا إلى اللغة الأم. وبذلك لم يخف على علماء علم اللغة الحديث معرفة أصل الكلمات المشتركة بين اللغات بدقة متناهية[2].

الألفاظ غير العربية في القرآن بين مذاهب العلماء وعلم اللغة الحديث

إنّ اللغة العربية كغيرها من اللغات الإنسانية خضعت لعملية التأثر والتأثير، فقد ظلت تقرض غيرها من اللغات وتقترض منها. وقد لاحظ علماء اللغة أن غالب اقتراض العربية قبل الإسلام كان عن طريق الاتصال عبر التجارة، ورحلة الشعراء، والزعماء، وليس عن

[1] انظر: حجازي، **مدخل علم اللغة**، ص23ـ26.

[2] انظر: وافي، **علم اللغة**، ص198ـ219.

طريق الاختلاط،[1] وهذه الألفاظ المقترضة ارتبطت بأمور اختصّ بها بعض الأعاجم، وامتازوا بإنتاجها. إلا أنّ جمهور العلماء، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي، وأبو عبيدة والطبري وابن فارس، قد ذهبوا — كما سبق أن رأينا – إلى أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وأنه ليس فيه شيء من غير لسان العرب، وأن حقيقة الأمر أن فيه كلمات مشتركة بين لغة العرب ولغات أخرى. ويستندون في موقفهم هذا إلى ما يأتي:

1. آيات القرآن التي تدلّ صراحة أنّ ليس فيه غير العربي؛ لأن تعالى جعله معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام.

2. أن ما وقع من الألفاظ مما يوافق الأعجمية إنما هو من باب ما توافقت فيه اللّغات، وأن ما أُثر عن ابن عباس ﷺ من عبارات بوقوع ألفاظ غير عربية كقوله: "هو بلغة كذا" إنما المقصود به أن اللفظ بلغة توافق لغة كذا، قد تكون سريانية، أو عبرية، أو حبشية، أو غيرها.

3. أنّ الألفاظ التي قيل إنها من غير العربية في القرآن الكريم هي في الأصل عربية بدليل شيوعها وورودها في الشعر الذي هو ديوان العرب. لذلك دأب بن جرير الطبري في تفسيره — كما رأينا — على الاستشهاد بأبيات من الشعر وردت فيها هذه الألفاظ إشارةً إلى أنّها جرت على ألسنة فصحاء العرب، وشاع استخدامها في شعرهم ونثرهم قبل نزول القرآن.

4. أن أحدًا من العلماء لم يصرح بأن االقرآن الكريم وردت فيه ألفاظٌ لم تكن معروفة لدى الناطقين بلغة العرب حين نزول القرآن. ويضيف المحدثون من هذا الفريق الرافض إلى ذلك أن القائلين بالدخيل في القرآن قد اعترفوا هم أنفسهم بأن هذه الألفاظ قد دخلت اللغة العربية على مرّ الأزمان البعيدة، حيث كيفتها العرب على لسانها، وأجروا عليها قواعد لغتهم وقوالبها، وشاع استخدامها في كلامهم عبر العصور حتى صارت من لسانهم على درجة واحدة من الفصاحة مع الألفاظ الأصيلة الصريحة، فنزل

[1] قدور، أحمد محمد، **مدخل إلى فقه اللغة العربية** (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1999)، ص232.

القرآن بها لأنها أصبحت جزءاً من لغة العرب وثقافتهم، فلا يمكن أن يخاطب الله العرب بشيء يجهلونه، أو ليس موجوداً في لغتهم[1].

وبالنظر في هذه المستندات نجد أن جمهور العلماء من الأقدمين لم يسلكوا منهجًا علميا محددًا وموحدًا في البحث لتعزيز موقفهم؛ لأنّ في عصورهم لم تبرز بعد مساهمات الدراسات اللغوية الحديثة بمناهجها المتطورة التي تساعد العلماء على تتبع جذور الألفاظ المختلفة لمعرفة لغتها الأم التي انحدرت منها، فضلاً عن أنّ معرفتهم باللغات الأخرى غير العربية كانت محدودة إلى حدّ بعيد. وكذلك كان العرب الناطقون بالعربية في عهودهم يستخدمون تلك المفردات بسهولة في أحاديثهم ومعاملاتهم واتصالاتهم مع القبائل الأخرى، بل إفهام هذه القبائل بمضمون هذه المفردات، الأمر الذي يعسر معه الشعورُ بعجمتها[2]. ولما كان أولئك العلماء متيقنين ومطمئنين ولا يساورهم أدنى شك في أن القرآن الكريم إنما أنزل بلسان عربي مبين، فإنه يمكننا أنّ نلاحظ أنً ثمة علاقة وثيقة بين قناعتهم تلك وموقفهم الصارم في إنكار الدخيل. فإيمانهم بقدسية القرآن الكريم وتعظيمهم للغته قد غلبا عليهم فصرفاهم عن مجرد التفكير في أصول مفردات القرآن عربية كانت أم أجنبية.

ولكن هذا الموقف العقدي من مسألة الدخيل لا يمكن أن يصمد في ضوء معطيات علم اللغة الحديث ومناهجه. فأصحابه لم يستندوا — كما ذكرنا قبل قليل – إلى أي منهج علمي قوامه الملاحظة والمقابلة والمتابعة التاريخية للألفاظ بغيةَ الوصول إلى لغتها الأم، قبل نفي أعجميتها في القرآن الكريم. ويؤّكد علماء علم اللغة الحديث أنّ البحث عن أصول الألفاظ دون الاستناد إلى حقائق العلم الصحيح لن يؤدي إلى نتيجة دقيقة وصحيحة. ففي حالة القرآن الكريم مثلاً، وعند تتبع جذور الألفاظ الدخيلة، نجدهم لا

---

[1] انظر: العزاني، خالد، **جهود الصحابة في اللغة** (عمان: عالم الكتب الحديث، 2006)، ص245-255.

[2] الشيخ، حمدي، **التفسير اللغوي لغريب القرآن بالشعر العربي عند ابن عباس** (القاهرة: مكتبة وهبة، 2007م)، ص160.

يتوقفون عند سنوات نزول القرآن الكريم وإنما يتجاوزونها إلى عمق التاريخ قبل الإسلام. واستنادًا إلى ذلك ما نستطيع القول أن علم اللغة الحديث أتاح للعلماء تحديد اللغات الأم للألفاظ بدقة شديدة أكثر من تحديد الأقدمين لها. ويجدر بنا التنوية إلى أن أحكام الذين يذهبون من الأقدمين إلى أن القرآن الكريم لم يسلم من الدخيل من منظور علم اللغة الحديث، لم يصلوا إلى هذا الدخيل استناداً إلى منهج علمي واضح، بل كان محور ارتكازهم روايات ابن عباس –كما سبق ذكرها– التي تشير في مجملها إلى وقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن التي صارت عربية قبل نزول القرآن الكريم. لا نستطيع الجزم بأن ابن عباس اتبع منهجًا علميًا معينًا في رواياته لتأصيل الألفاظ الدخيلة في القرآن الكريم في ضوء ذلك التاريخ المبكر الذي لم يعرف فيه الناس البحوث اللغوية المقارنة، ولا أدوات وطرق البحث التاريخي في اللغة. ولكن استناداً على مقدرات ابن عباس العلمية في الدين واللغة، يمكننا أنّ نقول إنّ ابن عباس – مع ذلك – رائد علم اللغة المقارن الحديث. وهذا العلم هو الأساس الأول لتأصيل الألفاظ اللغوية المختلفة إلى جذورها الأولى. ومردّ ذلك أن ابن عباس كان حجّة في لغة العرب، فقد كان ذكيًا إلى جانب أن الرسول ﷺ دعا له أن يزيده الله علما وفهمًا. وكيبدو أنه أيضًا على اطلاع واسع على لغات غير العرب في زمانه. ومن المعلوم أن ابن عباس تعلم اللغات على يد أستاذه زيد بن ثابت الذي تعلّم العبرية، والسريانية بأمر من الرسول ﷺ. وبالإضافة إلى أن ابن عباس اختلط بحضارات أقوام من غير العرب، فتعرف على عاداتهم ولغاتهم بسبب الفتوحات التي شهدها المسلمون. إذن هذه الدراية اللّغوية لابن عباس كافية لأن تمكنه من معرفة ألفاظ اللغات الأخرى، ودلالاتها تأصيلها[1].

ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن القول إنّ كلّ ما سبق يدلّ على أنّ ابن عباس كان له قدرة على المقارنات اللغوية وإن كان ذلك بصورة فطرية غير صناعية. فعلى سبيل

[1] العزاني، **جهود الصحابة في اللغة**، ص251-261.

المثال، ذكر ابن جرير أن عباس ﷺ سئل يومًا عن معنى كلمة قسورة في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ (المدثر: 51)، فقال: هو بالعربية "أسد"، وبالفارسية "شار"، وبالنبطية "أريا" وبالحبشية "قسورة"[1]. وكذلك أورد القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ (العاديات: 6)، أن ابن عباس: "الكنود بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكفور، وبلسان كنانة: البخيل السيء الملكة"[2].

وهذه الشواهد تؤكد أن ابن عباس هو أول رائدٍ طرق باب علم اللغة المقارن من العرب.

خاتمة ونتائج

ويمكن أن نخلص مما سبق من عرض ومناقشة إلى جملة من النتائج والتوصيات نوجزها فيما يأتي:

1. بالنظر إلى مذهب المنكرين لوقوع ألفاظ غير لغة العرب في القرآن منهم الإمام الشافعي الذي شدد النكير على من قال بذلك. وأشهر هؤلاء المنكرين الإمام الطبري الذي لم يوضح موقفه الرافض نظرياً بل طبقه عمليا في تفسيره. فهذا الموقف من الألفاظ الدخيلة يخالف منظور علم اللغة الحديث الذي أثبت بدراساته التأصيلية التاريخية أنّ هذه الألفاظ أصولها لغات أخرى. ويرجع كثير من العلماء موقف الطبري من هذه الألفاظ إلى إلمامه المحدود باللغات السامية كالعبرية، والسريانية، إلا أنه حاول إقامة الأدلة على نفي عجمة ألفاظ القرآن بناء على موقف قبلي أو مسلمة عقدية. ولكنه من جانب آخر لم يلتفت إلى قضية التبادل اللغوي، وما فيها من التأثر والتأثير بين اللغات وغيرها. ومع كلّ ذلك فإن جهود الإمام الطبري والإمام الشافعي من قبله تُعدُّ من الحلقات المبكرة للكشف عن المعنى الأصلي لكثير من ألفاظ القرآن الكريم.

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج23، ص460.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج22، ص437.

2. أما الذين آنسوا بعض الألفاظ من لغات أخرى غير عربية، فقد استدلّ جلهم بروايات ابن عباس. بيد أن دلالة روايات ابن عباس على عجمة بعض ألفاظ القرآن ليست صريحة، ولكن يتبين من أقواله ورود معنى اللفظ الواحد في لغات متعددة، وهذا هو استخدام أحد أهم طرائق علم اللغة الحديث أي علم اللغة المقارن لتأصيل الألفاظ إلى لغاتها الأم. وهكذا نخلص إلى أن ابن عباس لم يبتعد عن المنهج العلمى لعلم اللّغة الحديث، بل هو رائد علم اللغة المقارن استناداً إلى الشواهد التي ذكرت سابقاً. لذلك يعتبر تحديده للألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم أدقّ ممن سواه.

3. يؤكد معظم العلماء أن الألفاظ الدخيلة في القرآن قد تمّ تعريبها قبل نزول القرآن، لذلك استعملتها العرب في أشعارهم في الجاهلية، ولكن لم ترد أي إشارة – حسب علمنا – عن ألفاظ لغات أخرى عربت خلال السنوات الطويلة لنزول الوحي؛ لذلك ترى الدراسة أن هناك حاجة إلى إجراء دراسة أخرى لتقصي جذور ألفاظ لغات أخرى تمّ تعريبها خلال سنوات الوحي.

المراجع:

References:

Abd al-Tawwab, Ramadan, al-Taïawwur al-Lughawê: MaÐÉhiruhË wa ÑIlaluhË wa QawÉnênuhË (Cairo: Maktabat al-KhÉnjê, 1995).

Al-BaghÉwê, AbË Muíammad al-×usayn ibn MasÑËd, Ma'ÑÉlim al-Tanzêl, ed. Muhammad Abdullah al-Nimr, Uthman Jumah al-Dhamiriyyah and Sulayman Muslim al-Harsh (Riyadh: DÉr al-Ùaybah, 1411).

Al-BÉqilIÉnê, AbË Bakr Muíammad bin Ùayyib, al-Taqrêb wa al-IrshÉd, ed. Abdul Hamid bin Ali Abu Zunayd (Beirut: Mu0assasat al-RisÉlah, 1st edition, 1418/1998).

Al-GhazÉlê, KhÉlid, JuhËd al-ØaíÉbah fê al-Lughah (Amman: ÑÓlam al-Kutub al-Hadith, 2006).

Al-Harawê, AbË ÑUbayd al-QÉsim ibn SallÉm, KitÉb Gharêb al-×adêth, ed. Husayn Muhammad Muhammad Sharaf (Cairo: MajmaÑ al-Lughah al-ÑArabiyyah, 1415/1994).

Al-JawÉliqê, AbË ManÎËr MawhËb ibn AÍmad ibn Muíammad ibn al-KhaÌir, al-MuÑarrab min KalÉm al-AÑjamê ÑalÉ ×urËf al-MuÑjam, ed. V. Abdul Rahim (Damascus: DÉr al-Qalam, 1st edition, 1410/1990).

Al-Mawardi, Abu al-Hasan, al-Nukat wa al-'Uyun, Tafsir al-Mawardi, review and comment by al-Sayyid Abdul Maqsoud (Beirut: DÉr al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2004).

Al-Mubarak, Muhammad, Fiqh al-Lughah wa KhaÎÉÒiÎ al-ÑArabiyyah (Beirut: DÉr al-Fikr, 1964).

Al-QurÏubÊ, AbË ‘Abdullah MuÍammad bin AÍmad bin AbÊ Bakr, al-JÉmi‘ lÊ AÍkÉm al-Qur’Én wa al-Mubayyin limÉ TaÌammanahË min al-Sunnah wa ÓyÊ al-FurqÉn, ed. ‘Abdullah bin al-MuÍsin al-TurkÊ (Beirut: Muassasat al-RisÉlah, 1st edition, 1427/2006).

Al-RÉzÊ, AbË ×Étim AÍmad ibn ×amdÉn, KitÉb al-ZÊnah fi al-KalimÉt al-IslÉmiyyah al-ÑArabiyyah, ed. Husayn ibn Faydhillah al-Hamdani (Sanaa: Markaz al-DirÉsÉt wa al-BuÍËth al-YamanÊ, 1st edition, 1415/1994).

Al-RÉzÊ, al-Fakhr, al-TafsÊr al- RÉzÊ (known as al-TafsÊr al-KabÊr and MafÉtiÍ al-Ghayb (Beirut: DÉr al-Fikr, 1st edition, 1401/1981).

Al-Salih, Subhi, DirÉsÉt fÊ Fiqh al-Lughah (Beirut: DÉr al-ʿIlm li al-MalÉyÊn, 2009).

Al-ShawkÉnÊ, MuÍammad ibn ÑAlÊ ibn MuÍammad, FatÍ al-QadÊr al-JÉmiÑ bayna Fannay al-RiwÉyah wa al-DirÉyah min ÑIlm al-TafsÊr (ed. Yusuf al-Ghaush (Beirut: DÉr al-MaÑrifah, 4th edition, 2007/1428).

Al-Shaykh, Hamdi, al-TafsÊr al-LughawÊ li GharÊb al-QurÒÉn bi al-ShiÑr al-ÑArabÊ Ñinda Ibn ÑAbbÉs (Cairo: Maktabat Wahbah, 2007).

Al-ShÉfiÑÊ, al-Imam al-Muttalibi MuÍammad bin IdrÊs, al-RisÉlah, ed. AÍmad MuÍamamd ShÉkir (Beirut: DÉr al-Kutub al-ÑIlmiyyah, and published at Cairo by Dar al-TurÉth al-ÑArabÊ, no date).

Al-SuyËÎÊ, JalÉl al-DÊn, "al-Muhaddhab fÊ mÉ WaqaÑa fÊ al-QurÒÉn min al-MuÑarrab", ed. Abdullah al-Jabburi, Majallat al-Mawrid, vol. 1, issue no 1-2, 1391/1971.

_____, al-Itqan fÊ ‘UlËm al-Qur’an, ed. ShuÑayb al-ArnaÒËÏ (Beirut: MuÒassasat al-RisÉlah, 1st edition, 1429/2008).

_____, al-Muzhir fÊ ‘UlËm al-Lughah, ed. MuÍammad JÉd al-MaulÉ Beik et all. (Beirut: ManshurÉt al-Maktabah al-‘AÎriyyah, 1986).

Al-TaymÊ, AbË ÑUbaydah MuÑammar ibn al-MuthannÉ, MajÉz al-QurÒÉn, ed. Muhammad Fuad Sazkin (Cairo: Maktabat al-KhÉnjÊ, 1988).

Altunji, Muhammad, al-MuÑarrab wa al-DakhÊl fÊ al-Lughah al-ÑArbiyyah wa ÓdÉbihÉ (Beirut: DÉr al-MaÑrifah li al-ÙibÉÑah wa al-Nashr wa al-TawzÊÑ, 2005).

Al-ÙabarÊ, MuÍammad ibn JarÊr bin YazÊd bin KathÊr bin GhÉlib al-‘ÓmilÊ, JÉmi’ al-BayÉn fÊ Ta’wÊl al-Qur’Én, ed. Abdullah bin ÑAbd al-MuÍsin al-TurkÊ (Cairo: Hajar, 1st edition, 2001/1422).

Al-Zarkashê, Badr al-DÊn Muhammad bin ‘Abdullah, al-BurhÉn fÊ ‘UlËm al-Qur’Én, ed. MuÍammad AbË al-Fadhl IbrÉhÊm (Cairo: Maktabat DÉr al-Turath, 1404/1984).

Bubu, MasÒud, Athar al-DakhÊl ÑalÉ al-ÑArabiyyah al-FuÎÍÉ fÊ ÑAÎr al-IÍtijÉj (Damascus: Manshurat Wizarat al-Thaqafah wa al-Irshad al-Qawmi, 1982).

Hijazi, Mahmud Fahmi, Madkhal ÑIlm al-Lughah (Cairo: Dar Quba’, 1997).

_____, Usus ÑIlm al-Lughah al-ÑArabiyyah (Cairo: DÉr al-ThaqÉfah, 2003).

Ibn ‘AÏiyyah, ‘Abd al-×aqq bin GhÉlib al-AndalusÊ, al-MuÍarrar al-WajÊz fÊ Tafsir al-KitÉb al-‘AzÊz, ed. ‘Abd al-SalÉm ‘Abd al-ShÉfÊ MuÍammad (Beirut: DÉr al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1st edition, 2001/1422).

Ibn al-JawzÊ, JamÉl al-DÊn AbË al-Faraj ÑAbd al-RaÍmÉn bin ÑAlÊ al-BaghdÉdÊ, ZÉd al-MasÊr fÊ ÑIlm al-TafsÊr, ed. Zuhayr al-Shawish (Beirut: al-Maktab al-Islami, 3rd edition, 1404/1984).

Ibn FÉris, AbË al-×usayn AÍmad ibn FÉris ibn Zakariyyé, al-ØÉÍibÈ fÊ Fiqh al-Lughah al-ÑArabiyyah Muzhir fÊ ÑUlËm al-Lughah wa MasÉÒilihÉ wa Sunani al-ÑArab fi KalÉmihÉ AnwÉÑihÉ, ed. Ahmad Hasan Basaj (Beirut: DÉr al-Kutub al-ÑIlmiyyah, 1st edition, 1418/1997).

Qaddur, Ahmad Muhamamd, Madkhal IlÉ Fiqh al-Lughah al-ÑArabiyyah (Beirut: DÉr al-Fikr al-MuÑÉÎir, 1999).

ÚÉÐÉ, ×asan, al-LisÉn wa al-InsÉn: Madkhal ilÉ MaÑrifat al-Lughah (Damascus: DÉr al-Qalam/Beirut: al-DÉr al-ShÉmiyyah, 1410/1990).

Wafi, Ali Abdul Wahid, Fiqh al-Lughah (Cairo: NahÌat MiÎr li al-ÙibÉÒah wa al-Nashr wa al-TawzÊÒ, 3rd edition, 2004).

http://www.reefnet.gov.sy/booksproject/turath/76/3other.pdf